جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

استخدام الاختبارات النفسية وتفسيرها في الكشف عن الجريمة

الدكتور صفوح الاخرس

الرياض

1408 هـ - 1988 م

استخدام الاختبارات النفسية وتفسيرها في الكشف عن الجريمة

الدكتور صفوح الأخرس(*)

يمكننا ان نتبين أن هناك مجالا مشتركاً بين علم النفس وعلم الجريمة فالموضوع الرئيسي لعلم النفس هو السلوك الانساني، من حالات السواء، ومن حالات الشذوذ أو المرض أو الانحراف.

والجريمة وعلم الجريمة تهتم بالسلوك الانساني عندما ينحرف ويهدد المجتمع أو أفراده، وهنا نجد هذا المجال المشترك وحيث يقوم علم النفس بتزويد علم الجريمة بالكثير من الحقائق والوسائل لتوفير قاعدة تطبيقية تمكنه من تحقيق أهدافه.

ولعل الاختبارات والمقاييس المختلفة التي تعد أدوات مقننة للملاحظة هي التي يمكن الاستعانة بها للكشف عن عدد من المتغيرات في ميدان منع الجريمة أو مكافحتها وبالأخص أن الكثيرين من علماء النفس عكفوا خلال فترات طويلة على دراسة سيكولوجية المجرمين والمنحرفين وسمات شخصيتهم.

(*) كلية الآداب. جامعة دمشق. سوريا.

واذا كانت الاختبارات والمقاييس هي موضوع اهتمامنا هنا فيتعين أن نقدم تعريفاً وتصنيفاً لأنواعها المختلفة يمكننا من معرفة مزاياها وعيوبها.

تعريف المقياس النفسي:

المقياس النفسي ـ سواء أكان استخباراً أم اختباراً موضوعياً ـ هو أداة مقننة لملاحظة السلوك الانساني، سواء الصريح، أو المضمر، الرمزي، أو العياني في المستوى العقلي أو المزاجي، وهو أداة للملاحظة مستقلة عن شخصية الملاحظ ولا تتأثر بأهوائه أو مواقفه الشخصية أو آرائه الخاصة أو التحيزات المختلفة التي يمكن أن يتعرض لها، وهو أداة مقننة من حيث طريقة الاستخدام، وطريقة التصحيح وطريقة تفسير الدرجة.

أنواع المقاييس النفسية:

عادة ما نستخدم في أحاديثنا العامة وفي غير السياق التخصصي تعبير اختبار test للاشارة الى المقاييس النفسية المختلفة، غير أن هناك أنواعاً منها لا تعد اختبارات بالمعني الاصطلاحي كما سنرى الآن.

١ ـ الاختبار Test:

الاختبار عبارة عن أداة مقننة تقيس الأداء العقلي بأشكاله المختلفة سواء الذكاء أو القدرات الأخرى أوالاستعدادات وهو

يتكون من أعمال أو أسئلة أو مشكلات تتطلب أعمال الفكر والوصول الى حل وتعتمد على القوة Power أو السرعة Speed وهي تتحدى بتدرجها في الصعوبة قوة المفحوص وقدراته ولا يسهل فيها الكذب أو التزوير.

الاستخبار: Questionnaire:

وهو أداة مقننة لقياس سمات (خصائص) الشخصية أو السلوك المختص في المواقف المعتادة من ذلك: هل تعاني من الأرق أحيانا؟ أو: لا أستطيع أن أبدأ علاقة اجتماعية من تلقاء نفسي أو: لا أعاني من مشكلات تتعلق بالعمل وزملاء العمل، ولأن الاجابة على مثل هذه البنود يكشف عن مواقف الفرد وخصائصه السلوكية ومدى فهمه لهذه الأسئلة ودلالاتها فان امكانات التزييف كبيرة، ومع ذلك فعادة ما يتضمن الاستخبار الجيد عدداً من الأسئلة التي تكشف الكذب.

الاختبار الموضوعي: Objective Test

الاختبار الموضوعي غالباً ما يكون جهازاً يقيس أشكالاً من الاداء والوظائف التي نستدل منها على خصائص سلوكية أو عقلية معينة من ذلك جهاز المتابعة الدائرية الذي يكشف عن الكف العصبي أو جهاز بريمة ارشميدس الذي يكشف عن ظاهرة نطلق عليها اسم الأثر البعدي أو جهاز السيكوجلفانوميتر والذي يعد الأساس لفكرة جهاز كشف الكذب ولا يتعرض الأداء على هذا الاختبار للكذب أو التزييف.

الاختبار الاسقاطي: Projective test

وهو عبارة عن منبهات غامضة (غالباً ما تكون أشكالاً أو صوراً) ويطلب من الفرد أن يذكر ما يراه فيها أو ما يعتقد أن يراه والمتوقع هنا أن يستغل الشخص ما في الشكل من غموض ليسقط عليه انفعالاته الداخلية وصراعاته، ورغباته الدفينة ومن خلال انساق من المعاني الرمزية لهذه الاسقاطات تفسر استجابة المفحوص ويمكن الخروج منه باستدلالات عن شخصيته ولا يتعرض هذا النوع أيضاً لاحتمالات التزييف وان كانت تثور بعض الشكوك في طريقة تفسير الأداء عليه.

ويمكن استخدام الكثير من هذه المقاييس والاختبارات في مجال الجريمة وبعضها له علاقة مباشرة بسمات اجرامية هامة والبعض الآخر له علاقات غير مباشرة وسنتناول الآن بعض هذه الأدوات.

١ - مقياس السيكوباتية: Psychopathic deviations

يعد هذا المقياس أحد المقاييس الفرعية في بطارية الـ MMPI أو بطارية منيسوتا متعددة الأوجه للشخصية التي وصفها في بداية الاربعينات اثنان من العلماء الأمريكيين هما هاتاواي وماكينلي وتتكون من ٥٥٠ بنداً تقيس عددا من المفاهيم الأساسية في مجال الشخصية وجميعها (فيما عدا واحدة) لها دلالات إكلينيكية هامة.

ومقياس السيكوباتية أو الانحرافات السيكوباتية يتكون من ٥٥ بنداً من البنود الـ ٥٥٠ وهو يقيس مدى تشابه سمات الشخص

مع سمات مجموعة الأشخاص الذين تمكن الصعوبة الأساسية لديهم من نقص الاستجابة الانفعالية العميقة، ومن عدم قدرتهم على الافادة من الخبرة، وعدم مبالاتهم بالمعايير الاجتماعية وبالرغم من أن مثل هؤلاء الأفراد يشكلون خطراً على أنفسهم أو على الآخرين الاَّ انهم يكونون بشكل عام أذكياء ومحبوبين، ومن الملاحظ أن السيكوباتي المتطرف غالباً ما ينتهي به الأمر الى اصلاحيات الجانحين، وهو يعد النواة الأولى للمجرم الذي يعادي المجتمع، وقيمه ونظمه ولا يحترم أمن وحقوق الآخرين، ويؤدي الاكتشاف المبكر لهؤلاء الأفراد ـ بواسطة مقياس السيكوباتية ـ الى حمايتهم من أنفسهم وحماية المجتمع منهم وتوفير البيئة المناسبة لاصلاحهم قبل استفحال أمرهم.

ويلاحظ أن الدرجات التي يحصل عليها الأفراد على المقياس ـ أو غيره من المقاييس ـ لا تكتسب أي معنى في حد ذاتها، انما تكتسب معناها ودلالتها من مقارنتها بمعايير المجتمع، ومتوسطات الدرجة التي يحصل عليها الأسوياء وجماعات المنحرفين، وهي نقطة نعود اليها في نهاية حديثنا.

٢ ـ مقياس الجريمة: Criminality

من استخبارات ايزنك للشخصية EPQ واستخبار ايزنك للشخصية وضعه العالم البريطاني هانزايزنك Eysenck منذ فترة مبكرة وهو يقيس العصابية Neuroticism والانبساط Extraversion والذهانية Psychoticism والاجرام Criminality بالاضافة الى مقياس

مختصر لكشف الكذب، ورغم الأهمية الظاهرة لمقياس العصابية الذهانية في مجال الجريمة الاَّ أننا سنركز حديثنا على مقياس الاجرام، وهو مقياس يتكون من عدد محدود من البنود، ويمكن فصله مستقلا من صفحة واحدة، ولا يتطلب أكثر من خمس دقائق للاجابة عليه وهو يكشف الميول والاستعداد للاجرام، وعدم احترام معايير المجتمع والميل للجوء الى العنف في حل المشكلات المختلفة، ومن خلال البحوث العديدة التي أجريت باستخدام هذا المقياس ظهرت فروق جوهرية (لها دلالة احصائية) بين جماعات مختلفة من الأسوياء وبين المجرمين من معتادي الاجرام الموجودين بالسجون تنفيذاً لعقوبات، ويحقق استخدام هذا المقياس فوائد هامة للغاية في الكشف عن السمات الاجرامية لدى الأفراد وتميزهم عن أولئك الذين لا يميلون الى الجريمة أو أساليبها.

٣ ـ مقياس الانحرافات السلوكية: Maladaptive behavior

من مقياس الـ ABS (مقياس السلوك التوافقي) وقد وضعته لجنة من أساتذة علم النفس الأمريكيين وظهرت أحدث صورة له سنة ١٩٧٥ معدلة، ومنقحة، ويغطى هذا المقياس أربعة عشر مجالاً سلوكياً يمكن أن تحدث فيها انحرافات مختلفة يدخل بعضها في نطاق التجريم، ويدخل البعض الآخر في نطاق الرفض الاجتماعي فقط، وهذه المجالات السلوكية هي الآتي:

السلوك التدميري، السلوك غير الاجتماعي، السلوك المتمرد، السلوك غير المؤتمن، الانسحاب، السلوك النمطي، والتصرفات

الشاذة، السلوك الاجتماعي غير المناسب، العادات الصوتية غير المقبولة، العادات الغريبة، سلوك ايذاء الذات، الميل الى النشاط الزائد، السلوك الجنسي المكشوف، الاضطرابات النفسية، استخدام العقاقير الممنوعة.

ويكشف هذا المقياس بدقة شديدة من خلال عدد من البنود المعبرة عن هذه الأشكال السلوكية المتدرجة في ظهورها عن الانحرافات السلوكية المختلفة ذات الطابع الاجرامي أو المرفوض منها اجتماعياً، ويستخدم هذا المقياس بواسطة ملاحظين خارجين وبهذا لا يسهل تعرضه للتزييف أو التزوير ويمكن التوصل من خلاله الى معلومات مفيدة تساعد على التنبؤ الجيد باحتمالات ارتكاب أعمال غير مشروعة.

٤ ـ اختبار وكسلر لذكاء الراشدين: WAIS

هذا المقياس والمقاييس الأخرى التي تحمل اسم وكسلر للمراحل العمرية المختلفة وضعها عالم النفس الأمريكي ديفيد وكسلر في فهم عقلية الأشخاص المختلفين ومستويات تفكيرهم وطرق التفكير الاَّ أن هذا وحده ليس مصدر الأهمية المباشرة لاختبارات الذكاء في مجال حديثنا وحتى يمكننا التعرف على الاستخدامات النوعية للذكاء في مجالنا فعلينا أن نوضح التفرقة التقليدية بين نوعين من الذكاء.

أ ـ **الذكاء اللفظي**: Verbal Intelligence ويقصد به بروز الذكاء من خلال التعامل باللغة بوصفها عالماً رمزياً يناظر العالم الخارجي، ومنذ فترة مبكرة كان، بل وما زال، صلب الذكاء هو حسن التعامل باللغة، وعلى هذا فان أي اختبار تقليدي للذكاء يتضمن عدداً من البنود والمقاييس الفرعية ذات الطابع اللفظي تتضمن اختبارات للمفردات، واختبارات للمعلومات، اختبارات للقدرة الحسابية والقدرة على التجريد . . الخ، وعادة ما يمكننا الحصول على تقدير لنسبة الذكاء اللفظية للشخص تعبر عن ذكائه في مجال التعامل باللغة واستخداماتها الرمزية، وستة من الاختبارات الفرعية الأحد عشر في مقياس وكسلر للذكاء عبارة عن اختبارات لفظية.

ب ـ **الذكاء الأدائي**: Performance intelligence ويقصد به القدرة الفعلية للشخص المتمثلة في حسن (صحة ودقة وسرعة) تعامله بالأشياء وقدرته على التعامل مع الأشياء الواقعية حتى من عيبة اللغة، من ذلك قدرة الشخص على تصميم نماذج معينة باستخدام مكعبات، أو قدرته على الربط وفق قاعدة معينة بين سلاسل من الرموز أو قدرته على ترتيب احداث مصورة وفق منطق عقلي معين أو قدرته على اكتشاف أخطاء أو ثغرات أو عيوب من مواقف معطاة وهكذا من الأعمال والمهام التي يمكن القيام بها في غيبة اللغة وبالمثل يمكن الحصول على تقدير لنسبة الذكاء الأدائية للشخص.

أين المشكلة اذن التي تمثل أهمية في مجال استخدامات اختبارات الذكاء في الكشف عن الجريمة

المشكلة تتمثل في الآتي:

انه بالنسبة للشخص العادي نتوقع دائماً أن نجد أن نسبة الذكاء اللفظي مساوية أو قريبة من نسبة الذكاء الأدائي وحتى في حالة ظهور بعض الفروق لا تكون لها قيمة من وجهة نظر إحصائية، وعندما يحدث ذلك فنحن نطمئن الى أننا نتعامل مع شخص سوي سواء كانت نسبة ذكائه مرتفعة أو منخفضة.

غير أنه تحدث أحياناً حالات ثلاث ملفتة للنظر في أدائها على اختبارات الذكاء على الوجه الآتي:

أ ـ حالة شخص يحصل على نسبة ذكاء كلية (أي على الجزئين اللفظي والأدائي) أقل بكثير من ١٠٠ (أقل من ٧٠) بمعنى آخر (أقل من متوسط المجتمع بانحرافين معياريين) ومثل هذا الشخص بالمصطلحات السيكولوجية يعد متخلفاً عقلياً ويتعين في هذه الحالة دراسة ما نقصده بالتخلف العقلي ومدى ونوع ما يمكن أن يقدم عليه، أو يتعرض له، هذا المتخلف العقلي من أعمال أو أفعال، غالباً ما يكون ضحية لها نتيجة للنقص في وعيه، وقدراته العقلية وعدم ادراكه الكامل للاعتبارات الاجتماعية، وحدود المسئولية والأهلية.

ب ـ حالة شخص نسبة ذكائه اللفظي أعلى بكثير من نسبة ذكائه الأدائي وبفرق جوهري بين النسبتين، ويشير هذا الاختلال في هذا الاتجاه بين الذكاء اللفظي، والذكاء الأدائي الى ايجاد قويٍّ اننا أمام حالة شخص سيكوباتي، ويصبح من الضروري في هذه الحالة أن نستخدم اختبار القياس السيكوباتية مثل الاختبار الذي أشرنا اليه منذ قليل للتأكد من صدق هذا

الايحاء وما يترتب على معرفتنا أننا نتعامل مع شخصية سيكوباتية.

جـ ـ حالة شخص نسبة ذكائه الأدائي أعلى بكثير من نسبة ذكائه اللفظي وبفرق جوهري بين النسبتين وتثير هذه الحالة ايحاء قوياً اننا أمام حالة تدهور عقلي واضح المعالم mental deterioration ولحالات التدهور العقلي (أي انخفاض نسبة الذكاء لدى الشخص عما كانت عليه في وقت سابق) دلالات هامة من حيث سلوك الشخص، كما قد تشير لتعرض لخبرات سيئة سواء على المستوى النفسي أو الاجتماعي أو الصحي وهي خبرات وظروف قد يكون لها نتائجها على سلوكه وما يتوقع منه، معنى هذا أن لاختبارات الذكاء ولدرجات الذكاء الفرعية دلالات هامة لا يمكن اغفالها ويتعين الاهتمام بها في مجال مكافحة الجريمة أو الكشف عنها.

تفسير درجات الاختبارات:

تعرضنا أثناء الحديث لحقيقة أن الدرجة على الاختبار لا معنى لها في حد ذاتها وأنها تكتسب معناها من خلال مقارنتها بمتوسطات المجتمع أو معايير هذا المجتمع، ويعني هذا أن لكل مجتمع معاييره ولكل بيئة معاييرها، فنحن لا نستطيع أن نفسر درجة مفحوص على اختبار للذكاء في ضوء المعايير الأمريكية كما لا نستطيع تفسير درجة مفحوص أمريكي في الذكاء في ضوء معايير مصرية، وحتى أشكال السلوك كتلك التي تكشف عنها استخبارات الشخصية تختلف

من مجتمع الى آخر فهناك أشكال من السلوك يمكن تقبلها في مجتمع بينما ترفض في مجتمع آخر، لكل هذا يصبح من الضروري توفير معايير محلية لكل مجتمع.

ونقصد بالمعايير معرفة متوسط الدرجة على الاختبار في هذا المجتمع وكيف تتباين الدرجات ومقدار بعدها عن متوسط المجتمع بحيث يكفينا أن نقول ان شخصاً معيناً حصل على درجة تزيد عن متوسط المجتمع أو تقل عنها، شخص حصل على درجة متطرفة، أو درجة شائعة وتمثل مكانته وسط أغلبية الأفراد.

ومن الملاحظ بصفة عامة أن المجتمع لا تكون له درجة محددة لا مرونة فيها، تعبر عن متوسطه، وان من يحيد عنها زيادة أو نقصاناً يعد متطرفاً أو منحرفاً ـ بل ان للمجتمع ـ أي مجتمع درجتين، صغرى وكبرى، يتراوح بينهما أغلب افراد المجتمع (حوالي ثلثي أفراد هذا المجتمع) وبين هاتين الدرجتين يقع المتوسط.

وأي اختبار للذكاء له معاييره المحلية، كما أن أغلب استخبارات الشخصية لها معاييرها المحلية، وفي عدد من البلاد العربية مثل المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، وجمهورية مصر العربية، توجد معايير لبعض الاختبارات الهامة ويوالى الباحثون المختلفون استخلاص معاير للاختبارات والمقاييس المختلفة.

وفي ضوء هذه المعايير يمكن تفسير أداء الشخص على الاختبارات:

أنواع الدرجات المعيارية:

يستخدم الاخصائيون النفسيون عادة في وصفهم لمعايير المجتمع أنواعاً معينة من الدرجات يطلق عليها اسم الدرجات المعيارية standard scores وهي نظام للدرجات يسهل معه فهم درجة الشخص وتفسيرها، من ذلك مثلاً أن متوسط المجتمع - أي مجتمع - يصبح في صيغة الدرجات المعيارية ١٠٠ وبالتالي فمن يحصل على نسبة ذكاء مقدارها ١٠٠ يكون شخصاً متوسط الذكاء (مستوى ذكائه مناظر لمتوسط المجتمع) بينما من يحصل على درجة أو نسبة ذكاء أكثر من ١٠٠ يكون أعلى ذكاء من الشخص المتوسط وفقاً لمعايير المجتمع ومن يحصل على نسبة ذكاء أقل من ١٠٠ يكون أقل ذكاء من متوسط المجتمع وهكذا.

وهناك أنواع أخرى من الدرجات المعيارية نطلق على نوع منها اسم الدرجات التائية T. scores ويستخدم في الـ MMPI ونوع ثالث نطلق عليه اسم المئينات Centiles وهكذا وبصفة عامة فان كل هذه الأنواع يقصد من استخدامها وضع نظام سهل وميسور لفهم وتفسير درجة مفحوص فرد.

مدى الحاجة لاستخدام أكثر من اختبار بالنسبة للشخص الواحد:

لأن الاختبارات النفسية كأدوات للقياس والملاحظة، تتعرض لشوائب متعددة، وبها قدر محدود من عدم الدقة يصبح من الضروري عدم الاقتصار على نتائج اختبار واحد عند دراسة شخصية شخص معين، وعادة ما يفضل استخدام أكثر من اختبار بحيث تؤيد نتائج أحدهما نتائج الآخر وبهذا تصل الى قدر من الطمأنينة لصحة الاستخلاصات والدلالات التي تخرج بها، وكمثال لذلك فان مقياس الـ MMPI لا يفضل الاعتماد على درجة أي منها منفرداً بل تكتسب قيمتها ودلالتها السيكولوجية من خلال تفسير نمط الاداء على أكثر من مقياس من خلال استخدام بروفيل، والبروفيل عبارة عن تخطيط بياني يعبر عن أداء الشخص الواحد على مقاييس هذه البطارية.

وقد أمكن اكتشاف خصائص معينة وأنماط سلوكية تعبر عنها الأشكال المختلفة لهذه البروفيلات وهي خصائص وأنماط سلوكية أكثر دقة واستقراراً من الاستنتاجات التي نخرج بها من استخدام اختبار واحد.

من يستخدم الاختبارات والمقاييس:

بعد أن تعرفنا على أنواع مختلفة من الاختبارات، والمقاييس، وكيفية استخدامها، وشاهدنا أمثلة وتطبيقات لها، يتعين الاشارة الى نقطة هامة، وهي أن الميثاق الاخلاقي والمعايير المهنية للاخصائيين النفسيين تمنع غيرها من الفئات غير المؤهلة في علم النفس أو المدربة

من استخدام الاختبارات المختلفة، وهو موقف مماثل تماماً لعدم جواز استخدام شخص غير مؤهل كطبيب للسماعة الطبية أو قيامه بالكشف على مريض ، وعلى هذا بان المهة بعد دراسة الاختبارات واستخدامها لا تعني أن يستخدمها الدارس بنفسه ولكن أن يستعين بخدمات الاخصائيين النفسيين المؤهلين والمدربين والمرخص لهم باستخدام هذه الأدوات وحمايتها.

وتصبح أهم المميزات التي تحققت هي معرفة هذه الأدوات ومعرفة طبيعة الأسئلة التي يمكن توجيهها للأخصائي النفسي ليتولى الحصول على اجابات لها بواسطة اختبارات، وفي ضوء المفاهيم التي تناولناها يمكن معرفة دلالات الدرجات المختلفة على هذه الاختبارات سواء في مجال مكافحة الجريمة في وقت مبكر قبل حدوثها أو الكشف عنها أو التعامل مع الأفراد في مجال الجريمة والانحراف.